الفصل الرابع

جهود الإمام القرافي في إثبات نبوة خير الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إنكار اليهود نبوة سيدنا محمد ﷺ ورد القرافي عليهم.

المبحث الثاني: اعتراض النصارى على نبوة سيدنا محمد ﷺ ورد القرافي عليهم.

المبحث الثالث: بشارات نبوته ﷺ من كتب اليهود والنصارى المقدسة عندهم.

oeikandi.com

obeikandl.com

المبحث الأول
إنكار اليهود نبوة سيدنا محمد ﷺ ورد القرافي عليهم

ينكر اليهود نبوة سيدنا محمد ﷺ وهم في ذلك فريقان:

الفريق الأول: هم أكثر اليهود، وهؤلاء ينكرون نبوته ﷺ من أصلها، معللين بأنه لو كان نبيًا ﷺ، لكانت شريعته ناسخة لشريعة موسى عليه السلام، والنسخ باطل لما يلزم عنه من البداء، وإذا بطل النسخ بطلت نبوة محمد ﷺ، وخصوصًا: أن موسى عليه السلام قال: «تمسكوا بالسبت أبدًا»[(١)] أي تمسكوا بشريعة السبت، فلا شريعة بعدها، ولا نبوة[(٢)].

والفريق الثاني: ينكر نبوته ﷺ إلى بني إسرائيل وهؤلاء العيسوية أتباع أبي عيسى الأصفهاني، والموشكانية من أتباع يوذعان بن همذان، مؤسس فرقة اليوذعانية من فرق اليهود، فأما العيسوية: فيقولون: بنبوة سيدنا محمد ﷺ إلى بني إسماعيل وإلى سائر العرب.

وأما الموشكانية: فيقولون بنبوته ﷺ إلى العرب وسائر الناس سوى اليهود؛ لأنهم أهل ملة وكتاب[(٣)].

والإمام القرافي ناقش الفريقين ملزمًا إياهم بنبوة سيدنا محمد ﷺ.

مناقشة الإمام القرافي للفريق الأول:

---

(1) الخروج: الإصحاح: [٣١] الفقرتان: [١٦-١٧].

(2) يراجع: الملل والنحل: (١/ ٢١١)، شرح المقاصد: (٣/ ٣٠٣) وما بعدها، إطلالة على دلائل النبوة والرسالة لدى المتكلمين: (ص١٩٢) وما بعدها.

(3) يراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل: (١/ ٩٩)، الملل والنحل: (١/ ٢١٧).

ناقش الإمام القرافي من ينكر نبوة سيدنا محمد ﷺ من رأسها من اليهود بالآتي:

١- أبطل ما يعتمدون عليه في الإنكار من تعذر النسخ، ذاكرًا أن النسخ واقع عندهم، وإذا وقع فلا متمسك لهم يعتمدون عليه في الإنكار وذلك قوله: (جمهوركم يعتذر عن الإسلام بتعذر النسخ، لئلا يلزم منه الندم والبداء في حق الله تعالى وقد تقدم أن النسخ وقع عندكم[١].. وإذا كان النسخ واقعًا انقطع العذر، ولم يبق إلا العناد)[٢].

٢- لا ينكر اليهود أن الإتيان بالمعجزات دليل قوي على صحة دعوى النبوة[٣]، ولذلك الإمام القرافي يلزمهم نبوة سيدنا محمد ﷺ بما يعتقدون ويسلمون به، فيقول لهم: (حقيقة المعجزة لا تختلف، وهي فعل خارق يقترن به التحدي، وهذا قد وجد في حق محمد ﷺ، كما وجد في حق موسى عليه السلام، فإذا كانت المعجزة لا تفيد النبوة، يلزمهم ألا يعتقدوا نبوة موسى عليه السلام وإن أفادت النبوة يلزمهم اعتقاد نبوة محمد ﷺ، وإنما قلنا: إنه عليه السلام جاء بالمعجزة؛ لأنه جاء بالقرآن في زمن الفصحاء البلغاء، وسأل من جميعهم أن يأتوا بمثله فأعجزهم[٤] فسألهم سورة منه ... فعجزوا[٥] فنادى بينهم على رؤوس

---

(1) يراجع : موقف اليهود من النسخ ورد القرافي عليهم: (ص٣٤٣) وما بعدها.

(2) الأجوبة الفاخرة: (ص١٤٥، ١٤٦).

(3) يقول ابن كمونة اليهودي: (ومما يدل على صدق المدعين للنبوات المعجزات.. والمعجز في مصطلح جمهور أهل الشرائع: هو الدال على صدق النبي في دعواه النبوة) تنقيح الأبحاث (ص٧).

(4) قال تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٤].

(5) قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣] وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ =

الأشهاد بقوله: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨] ومع ذلك كله أظهروا العجز، وآثروا العدول إلى القتال، وسلب النفوس مع الأموال، ومثل هذا لا يفعله الجمع العظيم من العقلاء إلا للمبالغة في العجز).

ثم ذكر الإمام القرافي معجزات أخرى جاء بها ﷺ فقال: (ومن معجزاته ﷺ: انشقاق القمر(١)، وهي أعظم من انشقاق البحر(٢)؛ لأن الماء في كل حين يفترق من حيث الجملة، وأجرى الماء من أصابعه(٣)، وهو أعظم من إجراء الماء من الحجر(٤)؛ لأن الحجر مكان الماء من حيث الجملة، وكلمه الحصى(١)

= ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨].

وهناك صورة من صور التحدي لم يذكرها القرافي وهي: أنه سبحانه وتعالى تحداهم قبل أن يطلب منهم الإتيان بسورة مثل القرآن الكريم أن يأتوا بعشر سور من مثل القرآن الكريم، فعجزوا قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [هود: ١٣] فلما عجزوا عن العشر، طلب منهم أن يأتوا بسورة، فعجزوا كما ذكر القرافي.

(1) معجزة انشقاق القمر، أخرجها البخاري، ك: المناقب، باب: سؤال المشركين أن يريهم رسول الله ﷺ آية، حديث رقم (٣٤٣٧) صحيح البخاري: (٣/ ١٣٣٠). وأخرجه مسلم، ك: صفات المنافقين، باب: انشقاق القمر، حديث رقم (٢٨٠٠) صحيح مسلم: (٤/ ٢١٥٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(2) سفر الخروج: الإصحاح: [١٤] الفقرات: [١٥-٢٤].

(3) معجزة نبع الماء من بين أصابعه ﷺ أخرجها البخاري: ك المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم (٣٣٨٣) (٣/ ١٣١٠)، وابن حبان في صحيحه، ك: التاريخ، باب المعجزات، حديث رقم: (٦٥٤١)، صحيح ابن حبان (١٤/ ٤٧٩)، ت/ شعيب الأرنؤوط، الرسالة، بيروت، ط/ الثانية: ١٤١٤هـ. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

(4) سفر الخروج: الإصحاح: [١٧] الفقرات: [١-٧].

والجمل[٢] والشجر[٣] والذراع[٤] ومعجزاته ﷺ كثيرة)[٥].

فالإمام القرافي يقول لليهود: إن كانت المعجزة طريقًا لإثبات النبوة، فقد جاء محمد ﷺ بمعجزات كثيرة أعظم مما جاء بها موسى عليه السلام، فلتؤمنوا بنبوته ﷺ كما آمنتم بنبوة موسى عليه السلام ما دام كلاهما جاء بالمعجز.

وإن لم تكن المعجزة طريقًا لإثبات النبوة، فاعتقادكم نبوة موسى عليه السلام اعتقاد باطل، إذ كيف أثبتم نبوته عليه السلام، فالقرافي يلزم اليهود بواحد من اثنين: إما الإيمان بنبوة محمد ﷺ ، أو اعتقاد أن موسى عليه السلام ليس نبيًا.

٣- يلزم الإمام القرافي اليهود بنبوة سيدنا محمد ﷺ ، بشهادات لعلمائهم وخيارهم بصحة نبوته ﷺ، أمثال عبد الله بن سلام وكعب الأحبار، فهؤلاء أسلموا مقرين بأن وصفه ﷺ هو ما جاء في التوراة عن النبي الخاتم، وتكفي شهادة هؤلاء لإقامة الحجة على اليهود، وذلك قوله: (أسلم خيار اليهود، وخيار

=

(1) كلام الحصى له ﷺ ذكره القاضي عياض في الشفا (١/ ٢٥٩).

(2) كلام الجمل له ﷺ ذكره القاضي عياض في الشفا (١/ ٢٦٥).

(3) تكليم الشجر: أخرجه الترمذي: ك: المناقب، باب: تسليم الجبال والشجر على رسول الله ﷺ حديث رقم (٣٦٢٦) (٥/ ٥٩٣)، والحاكم في المستدرك: ك: تواريخ المتقدمين، باب: آيات رسول الله ﷺ ، حديث رقم (٤٢٣٨)، وقال الذهبي: صحيح، (٢/ ٦٧٧) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(4) تكليم الذراع أخرجه أبو داود، ك: الديات، باب: فيمن سقى رجلاً أو أطعمه فمات أيقاد منه؟ حديث رقم (٤٥١٢) (٢/ ٥٨٢). والبيهقي في الكبرى. ك: جماع أبواب صفة قتل العمد، باب: من سقى رجلاً سما، حديث رقم (١٥٧٨٨) (٨/ ٤٦) عن أبي سلمة رضي الله عنه .

(5) الأجوبة الفاخرة: (ص١٤٣، ١٤٤).

علمائهم، كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار، وأخبروا بأن مقتضى التوراة صحة نبوة محمد ﷺ، وأجمع اليهود قديمًا وحديثًا على سيادة هؤلاء، وعظم شأنهم في العلم والدين وكثرة الاطلاع فتكون شهادتهم حجة على اليهود)[1].

مناقشة القرافي للفريق الثاني:

لم يطل الإمام القرافي النفس في مناقشة من ينكر عموم رسالته ﷺ من اليهود، وإنما ألزمهم: أنهم إذا اعترفوا بنبوته ﷺ ومن شأن النبي ألا يكذب - فليصدقوه فيما جاء به، وقد جاء ﷺ بأن رسالته عامة لجميع الناس، كما أن القرافي يتعجب من أنه ﷺ إذا لم يكن رسولاً إلى اليهود، فكيف دعاهم إلى دينه، وقاتلهم في خيبر وغيرها؟

يقول الإمام القرافي: (إذا سلمتم نبوته - والنبي من شأنه الصدق وحسن السيرة والسريرة- فكيف قتل اليهود في خيبر، وغيرها، ودعاهم إلى دينه؟ فلو لم يكن رسولاً إليهم لما دعاهم، فكل من اعترف بنبوته عليه السلام للعرب، يلزمه تصديقه في كل ما أخبر به، وهو قد أخبر أنه بعث للناس كافة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال عليه السلام: «**بعثت للأحمر والأسود**»[2])[3].

وإذا نظرنا في كلام السابقين للإمام القرافي، فإنا نجد ابن حزم -رحمه الله تعالى- في رده على من ينكر نبوة محمد ﷺ يذكر أن طريق إثبات النبوة هو الإتيان بالمعجز، فإن صدقوا موسى عليه السلام لكونه أتى بمعجزات، فليصدقوا محمدًا

(1) الأجوبة الفاخرة: (ص١٤٥).

(2) أخرجه الإمام مسلم عن جابر رضي الله عنه ك: المساجد، باب: المساجد، حديث رقم (٥٢١) (١/ ٣٧٠)، وأخرجه أحمد في المسند عن ابن عباس حديث رقم (٢٢٥٦) (١/ ٢٥٠).

(3) الأجوبة الفاخرة: (ص١٤٦، ١٤٧).

ﷺ لكونه جاء بها، وذلك قوله: (فإذا كانت إحالة الطبائع موجبة تصديق من ظهرت عليه، فوجوب تصديق موسى عليه السلام... ومحمد ﷺ واجب وجوبًا مستويًا، ولا فرق بين شيء منه بالضرورة) ثم ذكر بعضًا من المعجزات التي جاءت مصدقة للنبي ﷺ كالقرآن الكريم، ونبع الماء، وانشقاق القمر، وغير ذلك من المعجزات.

ويقول في رده على من ينكر عموم رسالته ﷺ من اليهود -وهم العيسوية- كما ذكرهم، إذا صدقتم الكافة في نقل القرآن الكريم عن النبي ﷺ وفي نقل معجزاته وصحة نبوته، فقد لزمكم الانقياد لما في القرآن من أنه عليه السلام بعث إلى الناس كافة لقوله تعالى فيه، آمرًا الرسول ﷺ أن يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ثم أنه ﷺ حارب اليهود، ولو لم يكن مرسلاً إليهم لما حاربهم[(١)].

كما أنا نجد السموأل يلزم اليهود المنكرين نبوته ﷺ بالإقرار بصحتها بأن طريق إثبات النبوة في عصر دعواها هو رؤية الخوارق، وبعد النبي تثبت نبوته بنقل التواتر أنه جاء بالمعجزات، فإذا سلم اليهود بذلك -وهم لا ينكرونه، لأنه لا طريق إلى إثبات نبوة موسى غير هذا- قيل لهم: فقد تواتر عن محمد ﷺ أنه جاء بالمعجزات، كما تواتر النقل عن موسى عليه السلام، فهما متساويان في التصديق والتكذيب ولا فرق، فمن صدق بأحدهما فليصدق بالآخر، ومن كذب بأحدهما فليكذب بالآخر[(٢)].

ونجد أبا البقاء الجعفري يرد على العيسوية من اليهود، بأنه إذا صدقوا محمدًا

(1) يراجع: الفصل: (١/ ١٠٢، ١٠٥، ١١٤، ١١٥).
(2) يراجع: بذل المجهود في إفحام اليهود: (ص١٠٣-١٠٧).

ﷺ في قوله: إنه نبي لزمهم تصديقه في كل ما أخبر به، ومن جملة ما أخبر به أنه رسول إلى الناس أجمعين مستدلاً بقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ولكن قد يعترض اليهود بأن الناس في الآية المقصود بهم أهل مكة: اعتمادًا على ما هو مذكور في علوم القرآن من أن كل ما في كتاب الله تعالى: «يا أيها الناس» فهو خطاب لأهل مكة، وكل ما فيه: «يا أيها الذين آمنوا» فهو خطاب لأهل المدينة(١)، وهذا دفعه أبو البقاء بأن في القرآن الكريم آيات أخرى تبطل هذا الزعم كقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١] وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ: ٢٨](٢).

وإذا جئنا إلى المتأخرين فلا نجد إلا ابن القيم رحمه الله تعالى يذكر في إقناع اليهود المنكرين نبوة سيدنا محمد ﷺ ما ذكره السموأل في مناقشته اليهود بعبارة متقاربة(٣).

كما أنه يذكر ما كان من شهادة علماء اليهود كعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار وغيرهما بنبوته ﷺ ولكن بعبارة فيها تفصيل عما ذكره الإمام القرافي(٤).

مما سبق يظهر:

١- اشتراك القرافي مع ابن حزم، والسموأل، وابن القيم، في الاستدلال

(1) ينظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ١٨٨).
(2) يراجع: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (٢/ ٥٤٠).
(3) يراجع: إغاثة اللهفان: (ص٦٥٩-٦٦١).
(4) يراجع: هداية الحيارى: (ص١٥٢، ١٥٣).

بالمعجزة على صدق نبوته ﷺ.

٢- كما يظهر الاشتراك بين القرافي، وابن حزم، والجعفري، وابن القيم في الرد على من ينكر عموم رسالته ﷺ في أن التصديق بنبوته ﷺ يستلزم التصديق بكل ما جاء به؛ لأن النبي لا يكذب، ومما جاء به ﷺ أن رسالته عامة.

٣- وكما يظهر: أنه لم يذكر فريقي اليهود، ويناقشهما غير ابن حزم والقرافي، وعند المقارنة تظهر مدى قوة الإمام القرافي في رده؛ لأنه ألزم اليهود الاعتراف بنبوته ﷺ بشهادة من هو معظم عندهم، ولا ريب أن الإنسان إذا عظم أحدًا، قبلت شهادته عنده، وإلا فلا معنى للتعظيم، وهؤلاء شهدوا بصحة نبوته ﷺ، وهذه الشهادة، وإن ذكرها ابن القيم بشيء فيه سعه عما ذكره القرافي، فإن ابن القيم لم يتعرض لمن ينكر عموم رسالته ﷺ من اليهود، ما يجعل رد القرافي أقوى الردود وأشملها.

والله أعلم

obeikandl.com